المَفَاهِيمُ المُرْتَبِطَةُ بِمَقَاصِدِ الحَجّ في القُرْآنِ الكَرِيمِ

– تحديدات نَسَقِية ومَفهوميّة –

Concepts Related to The Maqasid AL Hajj In The Holy Quran

«ورقة بحثية مقترحة ضمن المحور الأول: المدخل المفاهيمي»

في الفترة بين 7ـ9 مارس 2023 بنادي الجيش الجزائر العاصمة

جامعة الأمير عبد القادر ووزارة الشؤون الدينية والأوقاف

د. أحمد ذيب

أستاذ محاضر أ، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية– الجزائر–

Ahmed.dib@univ-emir.dz

الملخص:

تتنزّل هذه الورقة ضمن سَعْيٍ مَفَاهيميٍّ لتجميع هذه المقاصد وتظهير وظائفها وخصائصها، أملاً في التَوَصُّلِ إلى صياغة مفهوم جَامعٍ يُعبّر عن رؤية القرآن الكريم الكليّة لمقاصد الحج.

ومن خلال الاعتماد على منهجية الدرس المصطلحي توصل البحث بثلاث مقاصد أسياسية اكتسبت مفاهيمها الخاصة من لغة المناسك التي أقرتها آيات الحج، وهي: التوحيد الظاهر، والذكر الاعلى، والوحدة المثمرة.

الكلمات المفتاحية: مقاصد الحج، الدراسة المصطلحية، التوحيد الظاهر، الذكر الأعلى، الوحدة.

Abstract:

This paper aims to track and extrapolate the «Maqasid AL Hajj» and explain their characteristics and functions, in order to arrive at a correct definition of these purposes.

To achieve this goal, the research relied on the methodology of the terminological study which is an appropriate methodology for this type of studies.

Among the most important results of the research: the use of the Qur'anic language in understanding the worship of Hajj helps the pilgrim to perform it correctly and effectively

Keywords: Maqasid**,** AL Hajj, Terminological study**,** concept**.**

مقدمة:

تقع «مقاصد الحج » موقع الصَّدَارَةِ من شبكة الفرائض الإسلامية النَّاظمة لحياة الإنسان، والمُؤَطِّرَة لقيمه المختلفة، فمن خلالها تتجلّى العبودية الحَقَّة، وتَتَحقَّقُ الجامعة الإيمانية، وتَتَجسَّدُ قِيَمُ التآخي والتعاون.

وقد ظهرت عناية القرآن الكريم بمقاصد هذه العبادة العظيمة في مواطن متعدّدة من الكتاب العزيز، إذْ بسط تفاصيلها وأحوالها، وأرشد إلى أغراضها ومقاصدها.

وتَتَنَزَّلُ هذه الورقة ضمن سَعْيٍ مَفَاهيميٍّ لتجميع هذه المقاصد وتظهير وظائفها وخصائصها، أملاً في التَوَصُّلِ إلى صياغة مفهوم جَامعٍ يُعبّر عن رؤية القرآن الكريم الكليّة لمقاصد الحج.

ولا شك أنَّ الوقوف على طريقة القرآن الكريم في عرض هذه المقاصد هو طريق لاحِبٌ للتحقّق بهذه الشعيرة العظيمة، ومِعْوَانٌ على تقويّة الثقة بِحِكمها وأحكامها؛ إذْ كلّما استشعر المُكَلَّفُ محاسن العبادة وأسرارها إلا كان ذلك أدعى إلى التأدّب بآدابها، والالتزام بأحكامها، وتحمّل ما لا يُطيقه غيره فيها ممّن لم يبلغ هذا اللون من التَهَدِّي.

❖ **أهداف الدراسة ومراميها:**

تهدف هذه الدراسة إلى استظهار المفاهيم الأساسية المرتبطة بمقاصد الحج وفق المنظور القرآني، وذلك بغرض **تدعيم الرؤية الفقهية وتأطيرها بتعاليم الهدي القرآني.**

❖ **مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:**

من الواضح أنَّ للعبادات الحِجِّية طريقٌ ثنائيُّ المسلك يجمع بين الجانبين: الروحي الغيبيّ في اتصاله مع الله سبحانه، والواقعي التصريفي المُتَعَلّق بالتعامل مع الخلق.

وفي ضوء هذه الثنائية النَّاظمة لمناسك الحج وشعائره، تطرح الدراسة الأسئلة الآتية:

- ✓ ما حقيقة مقاصد الحج من المنظور القرآني؟
- ✓ وما هي أبرز القيم التي يقوم عليها هذا المفهوم؟
- ✓ كيف كان منطق الاشتغال المنظومي لمقاصد الحج في القرآن الكريم؟

❖ **منهجية الدراسة:**

للإجابة عن هذه التساؤلات المفاهيمية ستعتمد الورقة تطبيق **منهجية الدَّرس المصطلحيّ**[1] انطلاقًا من تتبع كافة الآيات التي وردت فيها معاني هذه اللَّفْظَة، ومُرُورًا برصد سياقاتها الدلالية والتداولية، وانتهاءً بتجلية كلّ ما له صلة بهذا اللّفظ من ضمائم، وعلاقات، ومشتقات، وقضايا.

❖ **تصميم الدراسة:**

لاحتواء أطراف هذا الموضوع داخل بناء نسقيّ، فقد عملت على تقسيم البحث إلى مقدمة، وثلاثة محاور، وخاتمة.

فأما المقدمة، فاشتملت على بيان أهمية الموضوع، وتساؤلاته، وخطته الهيكلية، ومنهجيته المختارة.

وأما المحور الأول، فكان بعنوان «**نظرات في الورود والمفهوم**»، تضمّن تحديد مواقع مفردة الحج وزمن نزولها، وصيغها الصرفية.

وأما المحور الثاني، فقد عُني **بالدراسة المصطلحية لمقاصد الحج،** ابتداءً ببيان وظيفته العلمية، ومرورًا بتحديد رتبته الأسرية، وانتهاءً باستظهار علاقاته وضمائمه.

وأما المحور الثالث، فاهتم ببيان **منطق الاشتغال المنظومي لمقاصد الحج في القرآن الكريم.**

وأما الخاتمة، فقد جاءت تلخيصًا لأهم نتائج البحث ومُكتسابته.

---

[1] وهو بحثٌ في المصطلح لمعرفة واقعه الدلالي من حيث مفهومه، وخصائصه المكوّنة له، وفروعه المتولدّة عنه ضمن مجاله العلمي المدروس به. **الأنصاري،** المصطلح الأصولي عند الشاطبي ، (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٧)، ص٥١.

المحور الأول: نظرات في الورود والمفهوم

١-١- نظرات في الورود:

من المعلوم أنَّ المصطلحات لا تُوضع في النصوص الشرعية هكذا ارتجالاً يمليها عَفْوُ الخَاطِر، وإنما تورد لغرض التمكين لها تعبيرًا وتفكيرًا وتدبيرًا، فإذا أسهبت النصوص في تكرار مصطلح ما، كان ذلك إِمْعَانًا في بيان أهميته، وَإِيذَانًا بعلوّ محلّه في العلم الذي ينتمي إليه.

ويُوضّح لنا الجدول الآتي ورود مصطلحات «الحج» - في القرآن الكريم، ابتداءً بتحديد موضعه وزمن نزوله، ومرورًا ببيان صيغته الصرفية، وانتهاءً ببيان ضمائمه.

موضع الورود	السورة	الآية	سنة النزول	الصيغة	التعريف والتنكير	الإضافة
م1	البقرة	﴿فمن حج البيت﴾	3هـ	الفعلية	/	مضاف إلى البيت
م2		﴿مواقيت للناس والحج﴾	5هـ	المصدرية	معرف	غير مضاف
م3		﴿ وأتموا الحج والعمرة﴾	6هـ	المصدرية	معرف	غير مضاف
م4		﴿الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ﴾	6هـ	المصدرية	معرف	غير مضاف
م5		﴿فمن فرض فيهن الحج﴾	6هـ	المصدرية	معرف	غير مضاف
م6		﴿ولا جِدالَ في الحَجِّ﴾	6هـ	المصدرية	معرف	غير مضاف
م7	آل عمران	﴿وللَّهِ عَلى النّاسِ حِجُّ البَيْتِ﴾	3هـ	المصدرية	منكّر	مضاف إلى البيت
م8	التوبة	﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ ﴾	9هـ	المصدرية (الحج)	معرف	مضاف إلى الأكبر
م9	الحج	﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾	7هـ	المصدرية (بالحج)	معرف	غير مضاف

ومن هذا الإحصاء تَتَرشَّحُ لنا المَلاَحِظ الآتية:

- الحضور القويّ لمصطلح «الحج» في القرآن الكريم، حيث ورد ذكره في تسع مواضع، موزّعة على خمس سور قرآنية، وهي: سورة البقرة، وآل عمران، والمائدة، والتوبة، والحج، وهي السورة الوحيد التي سُمّيت باسم ركن من أركان الإسلام، أين فَصَّلَ القرآن الكريم الحديث عن أعمال الحج وتفاصيلها ما لم يُفصّل في غيره من العبادات، مع تغيير ما أدخله أهل الجاهلية فيها.

– أكثر ورود لفظة «الحج» كان بالصيغة المصدرية الدَّالة على هيئة الحدوث والاستغناء، خلافا للفعل الذي لا يقوم بنفسه في المعنى.

– أكثر صيغ «الحج» وردت مُعَرَّفة (ثماني مرات)، لبيان مزيد العناية والاهتمام من جهة، وللدلالة عَلى الإحاطة والشُّمُول من جهة ثانية.

– الحضور الدائم لمصطلح «الحج»، حيث لا تكاد تخلو مرحلة من مراحل العهد المدني من التنصيص على هذا الاصطلاح، فقد حضر في وقت مبكر من العهد المدني في السنة الثالثة للهجرة عَقِبَ غَزْوَةِ أُحُدٍ، ثم في السنة الخامسة، ثم في السنة السادسة عقب صلح الحديبية، ثم في السنة السابعة، ثم في السنة التاسعة.

ويُحيلنا الحضور الدائم لمصطلح «الحج» على مكانة «الحج» في التشريع الإسلامي، فهو ركنه الركين وعموده المتين الذي لا يكتمل عقد الإسلام إلا به.

– أغلب صيغ «الحج» وردت مقطوعة عن الإضافة، للدلالة على أنَّ «الحج» من المعاني التي لا يُحْتاجُ فيها إلى مضاف إليه، ولذلك صار بالإطلاق حقيقة عرفية في هَذا المعنى. أمَّا الموضع الذي ورد فيه مُنَكَّرًا، وهو قوله تعالى: ﴿ولِلَّهِ عَلى النّاسِ حِجُّ البَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧]؛ فهو مقام ابتداء تشريع فاحتيج فيه إلى البيان والإطناب، والغلبة على كل حال لا تمنع من الإطلاق الآخر نادرًا[١].

١–٢– نظرات في المفهوم:

أ– التعريف اللغوي:

الحج – بفتح الحاء وكسرها– فالفتح على المصدرية، والكسر على الاسمية، ولم يُقرأ في جميع مواقعه في القُرْآن بِكسر الحاء إلا في قوله تعالى: ﴿ولِلَّهِ عَلى النّاسِ حَجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبِيلًا ومَن كَفَرَ فَإنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ العالَمِينَ﴾ [آل عمران: الآية ٤٧][٢].

وبالرجوع إلى المعاجم اللغوية نجد أنَّ لفظ «الحج» يدور على المعاني الآتية[٣]:

---

[١] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: دار التحرير والتنوير)، ج١، ص٢٧٢.

[٢] المصدر نفسه.

[٣] ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، (بيروت: دار الفكر، ط١، ١٩٧٩م)، ج٢، ص٣١، وابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)، ج٢، ص٢٢٦.

– **القَصْدُ**، يُقالُ: رَجُلٌ مَحْجُوجٌ، ومَكانٌ مَحْجُوجٌ إذا كانَ مَقْصُودًا، ومِن ذَلِكَ مَحَجَّةُ الطَّرِيقِ، فلما كان البيت الحرام مقصودًا بهذا النوع من العباد سُمِّيَ ذلك الفعل حَجًّا، لأنَّ البيت مقصود فيه[1].

–**كثرة الاختلاف والتردّد**، ومنه تسمية الطريق: محجّة؛ لكثرة التردّد، وسُمّي الحاجّ بذلك لأنَّه يأتي قِبَلَ البيت ثم يعود إليه لطواف الإفاضة، ثم ينصرف إلى منى ويعود إليه لطواف الصدر، فلِتكرّر العَوْد مرة بعد أخرى قيل له: حَاجٌّ[2].

– **الحَلْقُ**، أي: سبر الشَجَّة بالمحجاج، يُقالُ: احْجُجْ شَجَّتَكَ، وذَلِكَ أنْ يَقْطَعَ الشَّعْرَ مِن نَواحِي الشَّجَّةِ فيكون المعنى: حَجَّ فُلانٌ أيْ حَلَقَ، وهَذا مُحْتَمَلٌ لِقَوْلِهِ تَعالى :﴿لَتَدْخُلُنَّ المسْجِدَ الحَرامَ إنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكم ومُقَصِّرِينَ﴾[الفتح: ٢٧]، أيْ حُجّاجًا وعُمّارًا، فَعَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِالحَلَقِ، فَلا يَبْعُدُ أنْ يَكُونَ الحَجُّ مُسَمًّى بِهَذا الِاسْمِ لِمَعْنى الحَلْقِ.

من خلال هذه الدلالات المعجمية للفظ «الحج» يُمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

– تطوّر مدلول كلمة « الحج »، فقد كان الاستعمال الأول للفظ «الحج» يُطلق على عموم القصد، ثم خُصَّ بقصد ما يُرادُ خَيْرُهُ وبِرُّهُ، ثم صار اسمًا للزيارة المُعَظِّمَة، ثم خُصَّ بالقصد التعبديّ المخصوص.

– تنوّع المعاني التي تدلّ عليها كلمة «الحج»، فهي تشير إلى القصد، وكثرة التردّد، والحلق.

لكن بالرغم من هذا التنوع إلا أنَّ أكثر معانيه متقاربة، تتفق في معنى «**القصد**»، حتى سبر الشجّة، فإنه اكتسب هذه التسمية من الآلة التي يتم بها السبر، وهي المحجاج، ولا يخفى أنَّ في هذا المفهوم معنى «القصد»؛ لأنَّ الشَجَّ فيه يُقصد منه معرفة العظم أو الدم، وبذلك تلتقي هذه المعاني على مفهوم «**التردد القاصد**».

---

[1] ينظر: تفسير الماوردي، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ج٢، ص٥.

[2] ينظر: تفسير الرازي، (بيروت: دار إحياء التراث، ط٣، ١٤٢٠هـ)، ج١، ص١٦٠.

المحور الثاني: الدراسة المصطلحية:

٢-١- وظيفته العلمية:

الوظيفة العلمية للمصطلح: هي الخاصية التي تبرز الدور العلمي التي يضطلع بها المصطلح المدروس، من تأسيس، أو بيان، أو استشكال..

وبالرغم من الأصل التشريعي «للحج» فله دلالات اجتماعية وثقافية ونفسية، وهذا ما يُفَسِّر لنا اتساع دائرة المخاطبين به، وتكرّر وروده في القرآن بصيغ مختلفة كما سبق بيانه.

٢-٢- رتبته الأسرية:

يعد مصطلح « **الحج** » مصطلحًا مركزيًا في قاموس المناسك، فهو مفتاح أسرته المصطلحية، والموجّه لما سواه من الاصطلاحات كالعمرة والمتعة والنسك ونحوها، حيث لا يمكن فهمها على وجه الحقيقة إلا بواسطته، ولعل هذا هو سر اقترانها به.

٢-٣- قوته الاستيعابية:

إنَّ الذي يُحقّق القُوَّة الاستيعابية لمصطلح ما: علوّ محلّه في الموضوع المعرفي الذين ينتمي إليه، وانديا‌حه – عموديًا- في أبواب ذلك الموضوع، وعلاقاته البينية (الأفقية) التي تربطه بالمصطلحات المحايثة له.

وإذا ما تمّ تنزيل هذه المعايير على مصطلح «الحج» في القرآن الكريم، وجدناه مصطلحًا قويّ الحضور، عميق الجذور، ممتد الأطراف.

أما عن قوّة حضوره، فقد سبق التأكيد على علوّ محلّه في عائلته الأسرية، وتبوئه فيها موضع الصَّدَارة (ورد ذكره في تسع مواضع موزّعة على خمس سور قرآنية).

وأما عن عمق جذوره، فهو مصطلح مُنْدَاح يستوعب ما تستوعبه العلاقات الأسرية في امتدادها الأفقي (ممثلة في الضمائم، كالعمرة، ومتعة الحج، وأشهر الحج..) والعمودي (ممثلة في فروعه، كالنسك والشعائر والصفا والمروة، عرفات، المشعر الحرام..).

وأما عن امتداده، فمعانيه الدلالية تتعانق مع مجالات مختلفة، دينية، واجتماعية، وثقافية، واقتصادية..

٢-٤- نضجه الاصطلاحي:

سبق البيان أنَّ مصطلح «الحج» تحوّل بالاستعمال الشرعي من مطلق القصد إلى خصوص التردد القاصد

المبني على التوحيد الخالص، والالتزام الواعي، فهو بهذا المستوى في غاية النضج والاكتمال.

وبالإضافة إلى ما امتاز به مصطلح «الحج» في نصوص الصحيح من تعدّد الوظائف، وقوّة الاستيعاب، وعلوّ المكانة، فهو قويّ الاستعمال، مستقر الدلالة؛ استعملُ في النصوص القرآنية بصورة مستقلة لم يحتج فيها – على الدوام – إلى الضمائم الوصفية أو الإضافية، فصحّ بهذا الاعتبار أن نصفه بالنضج والاستواء.

ولا يُشكل على هذا وروده في بعض المرات مضمومًا إلى غيره من المصطلحات المتكافئة بطريق الوصف أو الإضافة، من مثل: الحج الأكبر، حج البيت، فهي وإن اتحدت معه ذاتًا، إلا أنها تُباينه وَصْفًا، لتُنْبِئ عن تَطَوُّح استعمالاته، وانديا ح مجالاته، وهذا ما يجعل منه مصطلحًا مستقلاً قابلاً للرواج والتداول في السّوق العلمية.

٢–٥– علاقاته:

إذا كان معنى «الكلمة» يتحدّد بالسياق، فإنَّ معنى «المصطلح» ينجلي بتحديد العلاقات القائمة بينه وبقية الاصطلاحات التي تنتمي إلى شجرته المصطلحية.

وبالعودة إلى الآيات القرآنية التي ورد فيها مصطلح «الحج» نجد أنه خضع لأنواع من العلاقات، نوجزها في الآتي:

أ– ضمائمه

الضمائم هي المصطلحات المركبة تركيبًا إضافيًا أو وصفيًا، مثل «الحج الأكبر»، «ومتعة الحج»، ونحوها مما تركب على المصطلح الأصلي «الحج» بوصف، أو إضافة ، فتدرس في تركيباتها الجديدة لمعرفة الإضافة الجديدة التي أضفاها « المضاف إليه » أو « الوصف » على « المصطلح » قصد استخراج لدلالة الاصطلاحية الجديدة التي قد تنبثق عن هذا التركيب.

وجَلِيٌّ أنَّ المقوّمات الدلالية الذاتية لمصطلح «الحج»، (من تعريف وصفات وعلاقات) غير كافية لوحدها في مقاربة المصطلح المدروس، إلا إذا انضاف إليها استقصاء تام للامتدادات المفهومية من الداخل (الضمائم) والخارج (المشتقات).

- **العمرة:**

العمرة –بضم العين وسكون الميم-: الزيارة[1]، واصطلاحًا: هي اسم لزيارة الطواف بالبيت الحرام في غير وقت الحج أو في وقته بدون حضور عرفة، **فالعمرة بالنسبة إلى الحج مثل صلاة الفذ بالنسبة لصلاة الجماعة، وإنما ضُمَّت العمرة إلى الحج لمشاركتها له في إظهار فخاره وإعلاء مناره[2]، ولذلك جاز إدخال الحج على العمرة وعكسه أيضًا.**

- **متعة الحج:**

المتعة –بضم العين وكسرها– اسم من التمتع، وهو كل شيء ينتفع به، ويُتبلّغ به، وفي الاصطلاح: أن يحرم المحرم في أشهر الحج بعمرة، فإذا وصل إلى البيت وأراد أن يحل ويستعمل ما حَرُم عليه، فسبيله أن يطوف ويسعى ويُحِل، ويُقيم حلالاً إلى يوم الحج، ثم يحرم من مكة بالحج إحرامًا جديدًا، ويقف بعرفة، ثم يطوف ويسعى ويحل من الحج، فيكون قد تمتع بالعمرة في أيام الحج، أي: انتفع، لأنهم كانوا لا يرون العمرة في أشهر الحج، فأجازها الإسلام، وفيه قول الله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالعُمْرَةِ إلى الحَجِّ﴾ [البقرة: الآية ١٩٦][3]

- **الحج الأكبر:**

الأكبر بالجر نَعْتٌ، باعتبار تجزئيته إلى أعمال، فَوَصَفَ الأعظم من تلك الأعمال بالأكبر[4]، وقد فُسِّرت هذه الضميمة بعدة تفسيرات، فقيل: الحج الأكبر من أجل قول الناس في العمرة: الحج الأصغر، وقيل: هو يوم عرفة؛ لأنه يوم مُجْتَمَع الناس في صعيد واحد، وقيل: هو يوم النحر؛ لأنَّ النَّاس كانوا في موقف عرفة مفترقين؛ إذ كانت الحُمْسُ يقفون بالمزدلفة، ويقف بقية النَّاس بعرفة، وكانوا جميعًا يحضرون منى يوم النحر، فكان ذلك الاجتماع الأكبر[5]، وقيل: سمي بذلك **لكثرة أعمال الذكر فيه، وهو الأظهر الذي يتساوق مع مقصد إقامة ذكر الله، كما سيجيء بيانه في المحور الخاص بالمقاصد.**

---

(١) ينظر: الزبيدي، تاج العروس، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة، ط١، ٢٠٠١م)، ج١، ص٣٢٤٧.

(٢) ينظر: البقاعي، (بيروت: دار الكتاب الإسلامي، د، م)، ج١، ص١٢٦، وابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٢، ص٥٩.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي، ت: أطفيش، (القاهرة: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٦٤م)، ج٢، ص ٣٩١.

(٤) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٢، ص٧٠

(٥) رواه الدارقطني في كتاب الحج، باب المواقيت، رقم (٢٢٠).

- **أشهر الحج:**

هي الثلاثة أشهر التي جعلها الله ظرفًا لأداء فريضة الحج، وهي: شوال وذو القعدة وذو لحجة، قال تعالى: ﴿الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ﴾ [البقرة: الآية١٩٧]، ونصب الشارع للحجاج مواقيت معلومة **ليحصل المقصود من اجتماعهم**، بخلاف الصلاة فليست مؤقتة بالأهلة، وبخلاف الصوم فإن توقيته بالهلال تكميلي له؛ لأنه عبادة مقصورة على الذات، فلو جاء بها المنفرد لحصل له المقصد الشرعي[1].

ب- فروعـه:

- **النسك:**

النسك: العبادة والطاعة، وكل ما تُقرّب به إلى الله تعالى، واصطلاحًا: يُطلق على معان منها، الذبيحة، والعبادة، وأعمال الحج، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: الآية١٦٢]، أي: عبادتي وحجي، أو ما أفديه ضحية، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾ [البقرة: الآية٢٠٠]، سميت أعمال الحج مناسك، ولم تسم سائر الأعمال التعبدية بهذا الاسم، ولعلّ السر في ذلك هو تضمنه لمعنى التفرغ والاستدامة، **فالمتنسّك هو المتفرّغ لأداء العبادة.**

- **الشعائر:**

الشَّعائِرُ : واحدها شعيرة، وهي من قولهم: شعرتُ، أي: علمتُ، وهي كلّها معلومات، واصطلاحًا: ما جُعل علامة على أداء عمل من أعمال الحج والعمرة، وهي المواضع والمحال المُعَظَّمَة، كالمواقيت، والكعبة، والمسجد الحرام، والمقام، والصفا والمروة، وعرفة، والمشعر الحرام، ومنى، والجمار[2].

- **الصفا:**

أصل الصفا في اللغة الحجر الأملس، وهو جبل معروف بمكة فَهو رَأْسُ نِهايَةِ جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ، وكان على الصفا صنم يسمّى إساف، وعلى المروة صنم يدعى نائلة، وما كان كراهة من كره الطواف بينهما إلا من أجل هذا،

---

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٢، ص١٩٦.

(2) ينظر: الزجاج، معاني القرآن، (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨م)، ج١، ص ٢٣٣.

حتى رفع الله الحرج في ذلك[1].

- **المروة:**

هو منتهى جبل قُعيقِعان، وسميت المروة؛ لأنها حجارتها من المرو، وهي الحجارة البيضاء اللينة التي توري النار، ويُذبح بها [2].

- **عرفات:**

تقع على الطريق بين مكة والطائف، شرقي مكة بنحو ٢٢كلم، والوقوف بها هو المشعر الأقصى من مشاعر الحج، وهو الوحيد الذي يقع خارج الحرم[3].

وسميت هذه البقعةُ سُمِّيتْ بعَرفات؛ لأنَّ آدمَ وحوَّاءَ عليهما السلام **تعارفَا بها** بعد نزولهما مِنَ الجنة، وقيل: لتعرُّفِ العبادِ فيها إلى الله تعالى **بالذكر** والأدعيةِ[4].

- **المشعر الحرام:**

يطلق على مزدلفة كلها، وهو مصلى النَّاس بعد الإفاضة من عرفات، يصلون فيه المغرب والعشاء جمع تأخير، ويصلون فيه فجر أول أيام الأضحى، سُمي بذلك لأنه من علامات الحج، ومواضع الحج كلها مشعر[5].

ومن أسمائه: «**جَمْع**» كما في الحديث الصحيح: «ووقَفْتُ ها هنا **وجَمْعٌ** كُلُّها موقِفٌ»[6]، وإنما وُصِفَتْ بفِعْلِ أهلها؛ لأنَّهم **يجتمعونَ بها** ويَزْدَلِفونَ إلى الله تعالى[7].

- **مقام إبراهيم:**

موضع القدمين، وهو الحجر الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام حين رفع بناء البيت، وهو المشار إليه بقوله

---

(1) ينظر: السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، (بيروت: دار البيان الحديثة، ط١، ٢٠٠٢)، ص٩٦.

(2) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٢، ص٥٧.

(3) ينظر: شوقي أبو خليل، أطلس الحديث النبوي،(بيروت: دار الفكر المعاصر، ط١، ٢٠٠٥)، ص:٢٦٥.

(4) ينظر: الراغب، المفردات، (بيروت: در القلم، ط١، ١٤١٢هـ)، ص:٥٦١، والفيروز آبادي، القاموس المحيط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥م)، ج١، ص٨٣٦.

(5) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٢، ص٥٧.

(6) رواه مسلم في صحيحه، رقم (١٢١٨).

(7) ابن حجر، فتح الباري، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ج٣،ص ٥٢٣.

تعالى: ﴿واتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: الآية١٢٥] [١].

- **السعي:**

يستعمل في المشي كثيرا، وفي اصطلاح الشرع: قطع المسافة بين الصفا والمروة سبع مرات ذهابًا وإيابًا بعد طواف في نسك حجّ أو عمرة[٢].

- **الطواف:**

الطَّوافُ: المشي حول الكعبة، وهو عبادة قديمة من زمن إبراهيم قررها الإسلام، وكان أهل الجاهلية يطوفون حول أصنامهم كما يطوفون بالكعبة

والطواف تعبير عملي عن محبة الله والتعلق به[٣].

- **الهدي:**

الهَدْيُ: اسم الحيوان المُتقرب به لله في الحج، وأقل ما هو معروف عندهم من الهدي الغنم[٤].

ب – الحج في السياق الاصطلاحي:

بناءً على ما سبق من بيانات لغوية لمفردة «الحج»، وبتتبع الواقع الدلالي والاستعمالي لهذا المصطلح في القرآن الكريم، وباستظهار ضمائمه وفروعه، يمكن القول: إنَّ المقصود به في هذه الدراسة هو:

ترداد القصد إلى المشاعر المقدسة؛ إقامةً للذكر، وإظهارًا للتوحيد، وتأكيدًا على الوحدة.

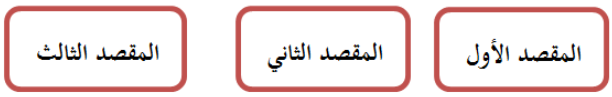

– فقولنا: (**ترداد**) قيد أول لإفادة معنى التكرار والمُعاودة، فالحج: قصد البيت على سبيل التكرار، فالحاج يتردد بين مكة ومنى وعرفات والمزدلفة يقيم ويرحل ولا إرادة له ول اختيار، فيكون ذلك تطبيعًا له على طاعة ربه في

---

[١] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٢، ص٥٧.

[٢] المصدر نفسه.

[٣] ينظر: عفيف عبد الفتاح، تعلم كيف تحج، (بيروت: دار الحج للملايين، ط١، ١٩٩٤م)، ص١١٦.

[٤] ينظر: تفسير ابن كثير، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ)، ج١، ص٢٣٧.

كافة أحواله[1].

-وقولنا: (**القصد**) قيد ثان لإفادة العموم والشمول، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران97]، أي: عموم الناس، وهذا بخلاف سائر أركان الإسلام التي خُوطب بها المؤمنون على وجه الخصوص، كقوله تعالى في سورة النساء : ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء103]، وقوله تعالى في سورة التوبة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾البقرة [183]؛ وهذا دليل على عالمية الحج.

- وقولنا: (**إقامةً لذكره**) أي تكثيفًا واستكثارًا، وهو **المقصد الأول من مقاصد الحج**، الذي هو بمثابة **الرافد** الذي يتقوى به الناسك على تحقيق المقصدين الآتيين.

- وقولنا: (**إظهارا للتوحيد**)، أي: إشاعته له وإعلانًا؛ وهو **المقصد الثاني من مقاصد الحج** الذي هو بمثابة **الثمرة**.

- وقولنا: (**تأكيدا على الوحدة**)، أي وحدة الأمة وتآخيها، وهو **المقصد الثالث من مقاصد الحج**، وهو مقصد تبعي للمقصد الأصلي (إظهار التوحيد).

إذن هي ثلاث مقاصد أسياسية، جمعت بين الجانب التعبدي الشعائري، والجانب الروحي التزكوي، والجانب العملي التصريفي (وحدة الأمة).

كما اشتملت على **غايةٍ** (**مقصد أصلي**) ، وهي التوحيد، **وسيلةٍ** (مقصد تبعي) لتحقيقه، وهي: الوحدة، **ومِعْوَانٍ عليهما**، وهو: **الذكر الكثير**.

وفيما يلي مزيد ايضاح لهذه المقاصد الثلاث، مشفوعة بأدلتها وبراهينها.

---

[1] ينظر: عفيف عبد الفتاح، روح الدين الإسلامي، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٣، ٢٠٠٣م)، ص٢١٠.

المحور الثالث

منطق الاشتغال المفهومي لمقاصد الحج في القرآن الكريم

بناء على ما سبق من بيانات مفهومية وسياقية لمفردة الحج في القرآن الكريم، وانطلاقًا من التعريف الاصطلاحي، فقد ترشحت لنا ثلاث مقاصد أساسية، وهي على النحو الآتي:

١.٣ـ التوحيد الظاهر:

بلحاظ مواقع ورود مفردة الحج في النصوص القرآنية نجد أنها تتفق- في الغالب -في كونها جاءت في سياق الحديث عن العقيدة، وإزاحة المعاني الدخيلة التي ألصقتها الجاهلية الوثنية بأعمال الحج، ويُحيلنا هذا الارتباط إلى أنَّ الحاج ليس مطالبًا بتجريد التوحيد لله فحسب، **وإنما –كذلك– باستظهاره وإشاعته وتقوية الثقة بمظاهره، أي الانتقال به من مستوى التمثل الشخصي إلى مستوى الدعوة والإشعار، فهو إذن مستوى خاص من مستويات التوحيد، بل أعلاها وأسماها.**

ففي قول الحاج: « لبيك الله لبيك، لبيك لا شريك لك».. إظهار للتوحيد أمام الجموع الغفيرة.

وفي الطواف -الذي مبناه على الانقياد والاستسلام- يجهر الطائف بالدعاء وسؤاله قضاء الحاجات، وفي الحديث: «إنما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله»[1]، فهو يتضمن الذكرين القولي والفعلي، وكل ذلك توحيدًا لله، وإفرادًا له بالعبادة.

وفي السعي يرتقي الحاج فوق الصفا حتى يرى البيت، فيغرد بتوحيد الله وتكبيره، وقد اعتلى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا وقال: « لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ...، الحَدِيْثُ، وَفيهِ: فَفَعَلَ عَلَى المَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا»[2].

---

[1] رواه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب الرمل، رقم: (١٨٨٨)، والترمذي في جامعه، كتاب الحج، رقم: (٩٠٢)، وأحمد في المسند، (٦/ ٦٤) (٢٤٣٩٦)، وابن خزيمة في صحيحه: (٤/ ٢٢٢) (٢٧٣٨)، وقال الترمذي: «حسن صحيح»، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» .

[2] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله، رقم: (١٧٩٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فرض الحج، رقم: (١٢١٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

وأما عرفات فهي إشهادٌ بالتوحيد وتذكيرٌ بالميثاق الأوّل المركوز في الفطرة الذي لقنّه أبونا آدم في عرفات بقوله: ﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [الأعراف: الآية: ١٧٢]، ولعل هذا هو سر الاقتصار على كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» في هذا الموضع الخاص، إظهارًا لميثاق التوحيد يوم الجمع الأكبر.

ومما ينخرط في هذا السلك أيضا– إظهار التوحيد في الحج– الدعوة إلى مباينة هدي الجاهليين، والتفصّي عن أعمالهم الشركية، حيث دُعي الحجاج إلى مخالفة المشركين في:

الإفاضة من عرفات قبل طلوع الشمس، وقد كان المشركون لا يفيضون إلا بعد طلوعها، وكان يقول قائلهم: «أشرق ثبير كيما نغير».

وفي الوقوف بعرفة، وقد كانت الحُمْس (قريش ومَن دَانَ دينها) يقفون بالمزدلفة.

وفي السعي بين الصفا والمروة توحيدا لله وتعظيما له، وكان المشركون يسعون بين إساف ونائلة وهما صنمان على جبلي الصفا والمروة.

وكان المشركون إذا أحرموا انتهوا عن أكل السمن ولا يطبخوه ولا يعالجوه، ولا يمخضوا اللبن، ولا يأكلوا الزبد، ولا يلبسوا الوبر ولا الشعر، ولا يغزلوه أو ينسجوه، أو يستظلوا به ما داموا حرما.

وكانوا إذا أحرم الرجل منهم نقب نقبا في ظهر بيته فمنه يدخل ويخرج[١]

وكانوا لا يجيزون لأحد من الحلة أن يطوف بالبيت إلا إذا لبس ثوبا أحمسيا، وإن لم يجده طاف عريانًا.

ومن أجل ذلك دُعي الحاج إلى إظهار التوحيد لخلع الابتداع والخرافة من جذورها الجاهلية وربطها بعروة الإسلام، وشدها إلى محوره.

وقد نقل الراغب عن الإمام الشافعي قوله: «وإنما قال في الحج والعمرة (لله) ولم يقل ذلك في الصلاة والزكاة؛ من أجل أنهم كانوا يتقربون ببعض أفعال الحج والعمرة إلى الأصنام، فخصّهما بالذكر الله تعالى حثًّا على الإخلاص فيهما **ومجانبة** ذلك الاعتقاد المحظور»[٢].

وخالص القول أن المفهوم الخاص الذي اكتسبه مقصد التوحيد في لغة المناسك: هو الإظهار

---

[١] ينظر: رفعت باشا، مرآة الحرمين، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط١، ١٣٤٤هـ)، ج١، ص٣٠٨.

[٢] الراغب، تفسير الراغب، ت: محمد بسيوني، (طنطا، كلية الآداب، ط١، ١٩٩٩م)، ج١، ص٤١٢.

والإعلان، فلا يُكتفي بتجريد التوحيد، وإنما يجب أن ينضاف إلى ذلك التعميم والتبليغ.

٣-٢- الذكر الأعلى (الشديد):

من الواضح أنَّ مناسك الحج شُرعت لإقامة ذكر الله تعالى، وهذا ما يُفسّر اقتران آيات الحج بذكر الله، بل هو روح الحج ولبّه ومقصوده[١].

ففي سورة البقرة تكرّر طلب ذكر الله من الحاج في عدة مواطن، عند الإفاضة من عرفات إلى المشعر الحرام: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وفي أيام منى، فيقول: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. وعند انقضاء المناسك: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وفي سورة الحج يبيّن أن الغاية من إقبال الناس على الحج من كل فج عميق أمران، هما: شهود المنافع، وذكر الله في أيام معلومات.

وقد سبق البيان في القسم الخاص بالدراسة المصطلحية أن حقيقة النسك: هو **التفرّغ** لأداء العبادة والاستدامة على ذلك.

ولا يذهب عنّا أن المطلوب من الحاج ليس هو إيقاع الذكر هكذا عفوٌ بحسب ما يمليه خاطره، وإنما المراد هو الاستكثار من ذكره سبحانه، وتعمير الأوقات به؛ فالذكرُ الكثيرُ حَقٌّ واجبُ الآداءِ في الحج، وذِمَامٌ مُتَأَكّدُة الرعاية؛ إذ يقبح بمن تحمّل مفارقة الأهل والوطن وإنفاق الأموال ومشاق السفر، أن يستعظم الإكثار من ذكر الله تعالى في أيام الذكر.

ومما يؤكّد هذا المعنى ويُزكّيه، التشبيه الوارد في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، **فهو تشبيه في الكثرة والتكرير وتعمير أوقات الفراغ به[٢]؛ ذلك لأن اجتثاث عادة القوم في ذكر التفاخر بأحوال الآباء وصرفهم عن هذه الطريقة الذميمة لا يتأتّى إلا بذكر أعلى وأشد، ولذا نعتنا هذا المقصد بـ « الذكر الأعلى».**

---

[١] ينظر: ابن القيم، مدارج السالكين، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٩٩٦م)، ج٢، ص٣٩٩.

[٢] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٥.

يقول الإمام الطبري-رحمه الله-: «كان القوم في جاهليتهم بعد فراغهم من حجهم ومناسكهم يجتمعون فيتفاخرون بمآثر آبائهم، فأمرهم الله في الإسلام أن يكون ذكرهم بالثناء والشكر والتعظيم لربهم دون غيره، **وأن يلزموا أنفسهم من الإكثار من ذكره، نظير ما كانوا ألزموا أنفسهم في جاهليتهم من ذكر آبائهم**»[1].

وعلى هذا يكون مفهوم مقصد الذكر بحسب لغة المناسك: هو بذل غاية المقدور في الثناء على الله تعالى وشرح آلائه ونعمائه، قولاً وفعلاً واعتقادًا.

٣ـ٣ـ الوحدة المثمرة:

من المعلوم أنَّ الحج مؤتمر المسلمين وجامعتهم الإيمانية يجتمعون فيه على اختلاف لغاتهم وألوانهم، بلباس واحد، ويتجهون إلى قبلة واحدة، فهو من العبادات الجماعية في الإسلام التي ترمز لوحدة الأمة وتآخيها، وهذا المعنى ظاهر في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: الآية ٢٧].

ونَصَّ التنزيل على مواقيت الحج لإقامة نظام الجامعة الإسلامية، فلو لم يُوقّت لجاء الناس للحج متخالفين فلم يحصل المقصود من اجتماعهم، بخلاف الصلاة فليست مؤقتة بالأهلة، وبخلاف الصوم فإن توقيته بالهلال تكميلي له؛ لأنه عبادة مقصورة على الذات، فلو جاء بها المنفرد لحصل له المقصد الشرعي[2].

وإنَّ هاهنا لمعنى لطيف اكتسبه مقصد الاجتماع حينما انتجع روضة المناسك وارتاد حياضها، فهو ليس اجتماعًا غثائيًا مؤقتًا تمليه المنفعة العاجلة أو تستدعيه التعبئة المؤقتة، وإنما هو استيثاق على التعاون، وتعاهد على النصرة، جاء نتيجةً للارتباط الوثيق بين الوحدة والتوحيد.

فكأنَّي به يقول: أيّها المسلمون إنّكم **كلّما اقتربتم من بعضكم البعض اقتربتم من ربّكم**، وتحقّقتم بتوحيده، وكنتم أهلنا لمباهاته.

وفي المقابل، إذا تصدعتم وتوزعتم لم تنتفعوا بالتوحيد ولن تجدوا ريحه؛ **فالمؤمن الحقّ من كان مُوَحِّدًا لله ومُتَحِدًا من إخوانه المسلمين.**

يقول المفكر بديع الزمان النورسي: "إن الإيمان بعقيدة واحدة، يستدعي حتمًا توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب

---

[1] تفسير الطبري، ج٤، (الرياض: دار هجر، ط١، ٢٠٠١م)، ص١٩٦.

[2] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٢، ص١٩٦.

واحد. ووحدةُ العقيدة هذه، تقتضي وحدة المجتمع. فأنت تستشعر بنوع من الرابطة مع من يعيش معك في طابور واحد، وبعلاقة صداقة معه، إن كنت تعمل معه تحت إمرة قائد واحد؛ بل تشعر بعلاقة أخوة معه لوجودكما في مدينة واحدة.."[1].

فالإمام النورسي في هذا النص قد سجّل حكمًا نقديا تعجبيا، مفاده أن المجتمع الذي يؤمن بعقيدة واحدة لا ينبغي أن يكون مشتت الأطراف، متشظيا متناحرًا، متصارعًا.. لأن العقيدة مانعة! قال تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا }(الحشر: ٩).

إذا تمهَّد هذا، عُلم خطأ ما تعتقده بعض الجماعات في معنى التوحيد، حيث تصرّ على أنَّ تحقيق التوحيد لا يتأتى إلا بعد الفراغ من توزيع الأمة والايغال في تصنيفها، والتركيز على منطق الوصم والإدانة.

وفَاتَ هؤلاء أنَّ مدرسة الحج تُعلّمنا أنَّ التوحيد الحقيقي هو الذي تُستثمر فيه طاقات الأمة لتحقيق الشهود وانتزاع الريادة من الجاحدين، لا لتكفير وتضليل الموحدين.

ومع أنَّ الداء في هذا الباب قديمٌ، والجَلَبَةُ منه معتادة، غير أنه يكفي أن نستحضر هدايات القرآن في العمل على ملاشاة الشحناء والشقاق وحَظْرِ كلّ ما يُولّد البغضاء والشحناء، ويُفكك عرى الإخاء، ففي نسك الرمي- الواقع عقب مشهد الجمع (الوقوف بعرفات) وقوفًا وإفاضةً على امتداد أربعة أيام – إشعارٌ بقدسية الاجتماع، وتحذيرٌ من كل شبهة تستهدف الأمة في وحدتها وأخوتها، حتى وإن كانت باسم التوحيد والعقيدة.

---

[1] بديع الزمان سعيد النورسي(ت١٩٦٠م)، **المكتوبات**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار: شركة سوزلر للنشر، ط٦، ص٣٢٦.

على سبيل الختم:

تبعًا للوظيفة المنهجية للخاتمة، فإننا سنعمد إلى أهم النتائج المستخلصة، وهي على النحو الآتي:

1- لاحظ البحث أن لمقاصد الحج حضورٌ متعاليّ القوة، عظيم المثول في القرآن الكريم، فهي واقعة موقع الصَّدَارَةِ من شبكة الفرائض الإسلامية النَّاظمة لحياة الإنسان، والمُؤَطِّرَة لقيمه المختلفة. وبالإضافة إلى ما امتاز به مصطلح «الحج» في نصوص الصحيح من علوّ المكانة وقوّة الاستيعاب، فهو قويّ الاستعمال، مستقر الدلالة؛ استعملُ في النصوص القرآنية بصورة مستقلة لم يحتج فيها – على الدوام – إلى الضمائم الوصفية أو الإضافية، فصحّ بهذا الاعتبار أن نصفه بالنضج والاستواء.

2- سجّل البحث تنوّع المعاني التي تدلّ عليها كلمة «الحج» في السياق اللغوي، فهي تشير إلى القصد، وكثرة التردّد، والحلق. لكن بالرغم من تنوعها فهي تتوارد على معنى واحد، وهو «التردّد القاصد».

3- حدّد البحث الحج من الناحية الاصطلاحية بأنه: **ترداد القصد إلى المشاعر المقدسة إقامةً للذكر؛ إظهارًا للتوحيد، وتأكيدًا على الوحدة.**

4- استخلص البحث ثلاث مقاصد أساسية مرتبطة بعبادة الحج، حُدّدت مفاهيمها تحت العناوين الآتية:

- **التوحيد الظاهر**، ومعناه في لغة المناسك: الإظهار والإعلان، لا التجريد فحسب.
- **الذكر الأعلى**، ومعناه في لغة المناسك: الذكر الكثير الكثيف، فهو بذل غاية المقدور في الثناء على الله تعالى وشرح آلائه ونعمائه، قولاً وفعلاً واعتقادًا.
- **الوحدة المثمرة**، ومعناها في لغة المناسك: الاجتماع الواعي والمثمر.

5- من أهم ما رصده البحث: أنَّ «مقاصد الحج» لا يتأتى فهمها على الوجه الأكمل إلا في إطار «نموذج مركب» على حد قول المسيري، يستحضر هدايات القرآن الكريم وتقريراته، إذْ الحج عبادة جامعة يمتزج فيها الديني والروحي، و يصطحب فيها المال بالبدن، ويتقاطع فيها العمل الفردي بالجماعي، ويتحد فيها الزمان بالمكان.

6- أكد البحث على عدم كِفاية التقرير الفقهي – على أهميته- في تأصيل مقاصد الحج، ما لم تسترشد بهدايات القرآن الكريم وتُصنع على عينه، وما الشُّبْهَةُ فِي فهم مصطلح التوحيد وإساءة توظيفه إلا نتيجة الْغَفْوِلِ على لغة القرآن وطريقته في تقرير المقاصد وتحريرها.

هذا، وإنَّ البحث إذ يُسجّل هذه النتائج؛ فإنّه يُوصي بالآتي:

- بذل المزيد من **الدراسات المصطلحية** التي تتقرّى مقاصد الحج من النصوص القرآنية، تمهيدًا لجمعها في **قاموس خاص** يسترشد بها الخطباء والدعاة في توعية الحجاج وتثقيفهم.

- العناية **بلغة المناسك**، من خلال رصد استعمالاتها، وتجميع مدلولاتها، وبيان خصائصها.

- **العودة بالمفاهيم والتصورات** المعرفية الحادثة بعد عهد التنزيل إلى مصدر الانبثاق الأول (القرآن الكريم)، فهو الأصل المُوحِّد والمهيمن على جميع الأنساق والنماذج المعرفية.

والله المسؤول أن يبلّغنا حجّ بيته العتيق، والصلاة في روضة رسوله الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

Conclusion:

The research was able to record four main results:

1-The meanings of the word Hajj are varied, as it means: intent, hesitation, and throat

2-Hajj worship is an atmosphere of mercy in Mecca for the sake of God's unity and remembrance.

3-The research extracted three well-known purposes of Hajj, namely: monotheism, remembrance of God, and unity.

4-The research emphasized the jurisprudential definition that does not give us the true picture of the purposes of Hajj. We must rely on the Quranic dictionary

❖ لائحة المصادر والمراجع:

- الأنصاري فريد ، المصطلح الأصولي عند الشاطبي ، (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٧)
- البقاعي إبراهيم، نظم الدرر في تناسب السور، (بيروت: دار الكتاب الإسلامي، د، م)
- القرطبي أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، ت: أطفيش، (القاهرة: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٦٤م)
- الرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب، (بيروت: دار إحياء التراث، ط٣، ١٤٢٠هـ)
- الراغب الأصفهاني، المفردات، (بيروت: در القلم، ط١، ١٤١٢هـ)
- الراغب الاصفهاني، تفسير الراغب، ت: محمد بسيوني، (طنطا، كلية الآداب، ط١، ١٩٩٩م) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)
- رفعت باشا، مرآة الحرمين، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط١، ١٣٤٤هـ)
- الزبيدي المرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة، ط١، ٢٠٠١م)
- الزجاج أبو إسحاق، معاني القرآن وإعرابه، (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨م)
- السيوطي جلال الدين، لباب النقول في أسباب النزول، (بيروت: دار البيان الحديثة، ط١، ٢٠٠٢)
- شوقي أبو خليل، أطلس الحديث النبوي،(بيروت: دار الفكر المعاصر، ط١، ٢٠٠٥)
- ابن فارس أحمد، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، (بيروت: دار الفكر، ط١، ١٩٧٩م)
- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥م)
- الطبري ابن جرير، جامع البيان، (الرياض: دار هجر، ط١، ٢٠٠١م)
- عفيف عبد الفتاح، تعلم كيف تحج، (بيروت: دار الحج للملايين، ط١، ١٩٩٤م)
- عفيف عبد الفتاح، روح الدين الإسلامي، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٣، ٢٠٠٣م)
- ابن كثير أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ)
- ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٩٩٦م)
- محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: دار التحرير والتنوير)
- ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)
- الماوردي أبو الحسن، النكت والعيون، (بيروت: دار الكتب العلمية)